

IQBAL REVIEW (65: 4)
(October - December 2024)
ISSN: P0021-0773
ISSN: e3006-9130

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد

إقبال

محمد رضوان محمود

الجامعة الإسلامية العالمية، اسلام آباد

The concepts of time and space have been central to philosophical discourse, raising continuous questions about their nature, relation to human existence, and connection to fate and destiny. From ancient Greek philosophy, which considered time and space either as illusions or as mere frameworks for existence, to Islamic philosophy, which sought a balance between rational thought and faith, these ideas have evolved significantly. In this context, Muhammad Iqbal presents a novel perspective, viewing time and space as dynamic dimensions closely tied to the continuous process of creation and spiritual evolution. Iqbal argues that fate is not an external deterministic force but rather a set of potentialities inherent within things, which unfold gradually over time. He critiques the traditional interpretations of fate and destiny, asserting that these interpretations led to intellectual stagnation and a misrepresentation of their true Quranic essence. While many perceive destiny as absolute determinism, Iqbal redefines it through the lens of time, emphasizing that the future is not preordained but rather open to human creativity and interaction with the universe's

laws. This study explores Iqbal's understanding of time and space and their link to fate and destiny, comparing his views with Muslim and Western philosophers. It highlights his critique of classical ideas and his attempt to present a new vision of time as a free and creative movement, reinforcing human responsibility in shaping the future rather than surrendering to absolute fatalism. Iqbal's perspective offers a profound philosophical and spiritual insight, challenging both traditional religious thought and modern scientific theories on time and space, such as Einstein's Theory of Relativity and Bergson's analysis of time. Ultimately, his philosophy remains highly relevant today, inspiring individuals and societies to embrace intellectual dynamism, creativity, and progress in place of passivity and rigid determinism.

Keywords: Time and Space, Philosophical Discourse, Fate and Destiny, Islamic Philosophy, Determinism, Creativity and Progress, Theory of Relativity, Spiritual Evolution

تمهيد: فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال

يعد مفهوم الزمان والمكان من أكثر القضايا الفلسفية تعقيدًا وتشابكًا، حيث أثارت تساؤلات مستمرة حول طبيعتها وعلاقتها بالوجود الإنساني، والقضاء والقدر، والنظام الكوني. وقد تناول الفلاسفة منذ العصور القديمة هذه المفاهيم من زوايا متعددة، بدءًا من الفكر اليوناني الذي اعتبر الزمان والمكان إما مجرد وهم أو إطارًا لوجود الأشياء، وصولًا إلى الفلسفة الإسلامية التي سعت إلى تقديم رؤية متوازنة تجمع بين التصور العقلي والإيمان الديني. في هذا السياق، يبرز محمد إقبال كواحد من أبرز المفكرين الذين قدموا رؤية جديدة لمفهوم الزمان والمكان، حيث نظر إليهما باعتبارهما أبعادًا ديناميكية مرتبطة بالخلق المستمر والتطور الروحي. ويرى إقبال أن القدر ليس قوة قاهرة منفصلة عن الإنسان، بل هو الإمكانيات الكامنة في طبيعة الأشياء والتي تتجلى تدريجيًا عبر الزمن.

ويؤكد إقبال على أن الفهم التقليدي للقضاء والقدر أدى إلى جمود فكري وتعطيل للإرادة الإنسانية، حيث انحرفت المفاهيم عن مقاصدها الأصلية في القرآن، مما جعل الكثيرين يظنون أن القدر يعني الإجبار التام على الأحداث، بينما يرى إقبال أن الزمان هو ذاته

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

القدر، إذ أن المستقبل ليس محددًا سلفًا، بل هو مفتوح أمام الإبداع الإنساني والتفاعل مع قوانين الكون.

من هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى استكشاف مفهوم الزمان والمكان عند محمد إقبال، وعلاقتها بالقضاء والقدر، ومقارنة رؤيته بآراء الفلاسفة المسلمين والغربيين، مع تسليط الضوء على نقده للمفاهيم التقليدية ومحاولته تقديم تصور جديد للزمان بوصفه حركة حرة وخلقة، تؤكد على مسؤولية الإنسان في تشكيل مستقبله بدلاً من الاستسلام لفكرة الجبرية المطلقة.

مفهوم الزمان والمكان عند محمد إقبال:

إن الزمان باعتباره كلاً لا يتجزأ هو ما يسميه القرآن "التقدير" أو "القدر" وهي كلمة أسيى فهمها كثيرا في العالم الإسلامى وفي خارج العالم الإسلامى، فالقدر هو الزمان إذا نظرنا إليه على أنه سابق على وقوع امكاناته، انه زمان متحرر من شبكة تتابع العلة والمعلول، أو ذلك الرسم البياني الذي يفرضه الفهم المنطقي على الزمان، وباختصار أنه الزمان كما نشعر به لا كما نفكر فيه أو نخصيه".¹

فمن خلال هذه العبارة لا بد علينا أن نفهم بأن القضاء والقدر عند محمد إقبال لها علاقة وثيقة مع قضية الزمان والمكان، ففي الصفحات القادمة سنرى ماذا يعنى بالزمان والمكان؟، ما علاقة الزمان والمكان بالقضاء والقدر؟.

تعد كلمتا "الزمان (Time) والمكان (space)" من الكلمات الشائعة التي تحمل من المعاني ما قد يجعلها يلتبس على الأذهان وتحمل كلمة "المكان" الحيز، الحجم، المساحة والخلاء، أما اللغة الاصطلاحية الانجليزية فغالبا ما تعنى كلمة Space الفضاء الخارجي أي المنطقة الواقعة خارج الغلاف الجوى للأرض والتي نحسب أنها خواء، بينما هي في الواقع ليست فراغا تاما، حيث لا تخلو المسافات السحيقة فيما بين النجوم والكواكب من مقدار دقيق على الأقل من المادة علاوة على كمية كبيرة من الاشعاعات من هذا النوع أو ذاك ومع ذلك فان كلمة الفضاء تتصل دائما في الأذهان "بالفراغ" أى ما يتبقى بعد زوال كل شيء ملموس، وبالتالي يعتبر معظم الناس الفضاء بمثابة الوعاء الضخم الذى يستوعب داخله

الكون بما يشمله من مجرات ونجوم وكواكب، وذلك يعنى أن الفضاء لا يزول بوجود المادة ولكنه "يمتلىء بها".^٢

فمفهوم الزمان ليس أمر يسير، ذلك هو من الأمور التي لم يتفق على طبيعتها وتحديد نسبتته إلى المعقولات أو المحسوسات، ومن ثم كان محلاً لاختلاف وجهات النظر بين الباحثين الذين يحاولون وضع حد جامع له. ذلك أننا ندرك أثر الزمان ونشعر لمروره، فما من مخلوق في هذا العالم المادى إلا ويعيش في زمان والإنسان يمر بمراحل في حياته منذ الطفولة حتى يصل إلى الشيخوخة، كل ذلك من أثر مروره في الزمان ونحن نشعر بمرور الزمان، وترى آثاره ولكن اذا سئلنا عن تعريف الزمان فماذا نقول؟

يقول محمد إقبال: "ينبغي الاعتراف بأن المسألة ليست خالية من الصعوبة وإنما تطلب المزيد من التفكير فليس من السهل أن ندرك سر الزمان، فعبارة "أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠هـ)" صادقة اليوم، كما كانت صادقة يوم أن نطق بها "إني أعرف الزمان إذا لم يسألني عنه أحد، أما إذا حاولت تفسيره للسائل فيأني أجهله".^٣

فإن المتأمل في تاريخ الفلسفة يجد أن الآراء قد تباينت حول الزمان والمكان بين الفلاسفة، كل يدلو بدلوه حسب تأمله ومذهبه، ففي الفكر الفلسفي اليوناني يطالعنا "افلاطون" بأن المكان غير حقيقي وهو الحاوي للموجودات المتكثرة، كما أن الزمان في علمنا المحسوس هذا غير حقيقي أيضا، أما "ارسطو" فقد عرف الزمان بأنه مقياس أو عدد الحركة بحسب المتقدم والمتأخر، ومعنى هذا أن الزمان يرتبط من حيث أنه يعد السابق واللاحق منها، أما المكان عنده فهو سطح الباطن المماس للجسم المحوى.^٤

وفي الفكر الإسلامي نجد أن معالجة فلاسفة الإسلام لمسألتي الزمان والمكان كان لها طابعها الأصيل الذي يميزها عن غيرها من الفلسفات الأخرى، وإن وجدت بعض نقاط اتفاق بينهم وبين فيلسوف اليونان "ارسطو" فمرجع ذلك إما إلى تعداد وفي الخواطر أو منطق العلم أو السمة الغالبة على هؤلاء الفلاسفة الإسلاميين التي تميزت بها فلسفاتهم، فمنهم من غلبت عليه سمة قبول الفلسفة ومحاولة التوفيق بينها وبين الإسلام ويمثل هؤلاء "الكندى (٧٩٦-٨٧٣م)" و "الفارابي (٢٥٩-٣٣٩هـ)" و "ابن سينا (٣٧٠-٤٢٧هـ)".

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

ومنهم اتجه إلى رفض هذه الفلسفة ومحاربتها وقاموا بنقدها وهدمها ويمثلهم "الإمام الغزالي (١٠٥٨-١١١١م)" ثم "ابو البركات البغدادي (٤٨٠-٥٦٠هـ)"، وهناك من غلبت عليهم سمة الدفاع عن الفلسفة واثبات أنها لا تتعارض لا مع الدين ولا مع العقل، ويمثلهم "ابن باجة (ت ٥٣٣هـ)" و "ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ)".^٥

هكذا يتضح مدى اختلاف الفلاسفة في النظر إلى الزمان والمكان، فمن زمان ومكان غير حقيقيين إلى زمان ومكان هما كل الحقيقة، من زمان ومكان منفصلين إلى زمان ومكان مرتبطين من زمان ومكان استاتيكيين إلى زمان ومكان ديناميكيين جدليين، من زمان ومكان معرفيين إلى زمان ومكان وجوديين من زمان كيفي إلى زمان كمي، ومن زمان روحي إلى زمان مادي ومن زمان أولى إلى زمان بعدى، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المكان.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا:

"إن هذا الموضوع الزمان والمكان من أعقد القضايا الفلسفية إن لم يكن أعقدها على الإطلاق وأحفلها بالمناقشات العقلية والإتجاهات المتباينة في القديم والحديث على السواء، وذلك لأن قضيتي الزمان والمكان إنما تمثلان المركز أو المحور الذي ترتبط به معظم القضايا الفلسفية الأخرى ويمسها من قريب أو من بعيد، وما يكاد الفكر الفلسفي يحصر ذاته في موضوع الزمان والمكان حتى يجد نفسه محاطا بعديد من الموضوعات الأخرى سواء في الفيزيقا أو الميتافيزيقا".^٦

ومما يريد هذا الموضوع أهمية علاقاته المتعددة بالمسائل الكلامية والفلسفية مثل: مفهومي المكان والحركة، ومفهومي النسبية والإطلاق ومفهوم الآن ومسألة القضاء والقدر والإله، إلى غير ذلك.

ولن نتعرض لتوضيح آراء المسلمين في مشكلة الزمان وأبعادها، وإنما يهمنا أن نتعرف هذه الفكرة لدى محمد إقبال:

ثانيا: الزمان والمكان بين الاصلالة والمعاصرة

قضية الزمان والمكان، قضية رياضية أو علمية في الحقيقة ولكن لها ناحية فلسفية ولذا لا نستطيع أن نصرّف نظرنا عنها ومحمد إقبال يعتبرها مثل الموت والحياة في الأهمية

للمسلمين. لقد تناول محمد إقبال بعض الآراء في هذه القضية بالنقد والتحليل مبينا رأيه فيها:

الأول : رأى اليونانيين

ذهب اليونانيون إلى رأيين في الزمان:

الأول: لا وجود له في الخارج.

الثاني: إنه يتحرك حركة دائرية.^٧

ومن خلال رأيهم: نجد أن الزمان مجموعة من اللحظات غير محدودة، كما أن المكان مجموعة من النقاط اللا محدودة، فهذه اللحظات والنقاط لا يتصل مع بعض، وإنما قابلا للتقسيم اللامتناهي، ولكن لا يمكن أن يجتاز الوقفة الخالية بين اللمحتين أو المسافة الخالية بين النقطتين فعلى هذا لا يمكن الحركة وإنما هو فقط خدعة لنظر، ولذا يعبرون فلاسفة اليونانيين لهذا الكون بأنه ساكن غير متحرك.^٨

ويعلق الدكتور محمد إقبال على هذه الآراء بقوله: "وأيا كان المقياس الذي يحكم به على تقدم حركة مبدعة فإن الحركة إذا فهمت بوصفها دائرية فقدت صفة الإبداع إذ أن العدد الأيدي ليس خلقا أديا، بل هو تكرار أبدى".^٩

فإن النظرة إلى الزمان على كلتا الصورتين غير صواب لدي محمد إقبال، لأنهما تنتهيان إلى السكون والجمود وتحليلتهما عن الإبداع والجددة، وبالتالي تجعلان العالم مستغنيا عن الله وتفتحان المجال للإلحاد وإنكار وجود الله وقدرته أيضا.

والثاني: رأى المسلمين

لقد لقيت فكرة الزمان والمكان عند الصوفية والمتكلمين والفلاسفة المسلمين إهتماما كبيرا لدي محمد إقبال، لأن القرآن شجع المسلمين على التفكير في هذا الباب، وهو أول مصدر عندهم، حيث قال الله تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.^{١٠}

ويقول الله سبحانه وتعالى في حركة الليل والنهار بأتمها آياته الكبرى:

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ.^{١١}

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

هذه الرحابة الهائلة للزمان والمكان تنطوى على معنى التسليم الكامل من الإنسان بأن واجبه هو التأمل في آيات الله الكونية، ومن ثم اكتشاف وسائل لتحقيق سيطرته على الطبيعة كحقيقة واقعة، يقول القرآن:

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً. ^{١٢}

كما نجد بعض الأحاديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر". ^{١٣}

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عز وجل: "يؤذي ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدى الأمر أقلب الليل والنهار". ^{١٤}
ويجبرنا "الرازي" في تفسيره أن بعض الصالحين المسلمين قد علمه أن يكرر كلمة دهر أو ديهور أو ديهار. ^{١٥}

زاد على ذلك المقولة المعروفة نقل من العارفين "الوقت كالسيف" ^{١٦}
فهذه الأدلة تدل على أن هذه القضية الزمان والمكان لها أهمية كبيرة في الإسلام وعند المسلمين فالمسلمون أمثال "الأشاعرة" و"نصير الدين الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ)".
"البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ)" فذهبوا خلاف رأى اليونانيين، فالأشاعرة، لهم الفضل الأول الذين فتحوا العقيدات في هذه القضية. ^{١٧}

فذهبوا إلى أن الزمان والمكان والحركة كلها تتألف من نقط وأنات لا تقبل التقسيم إلى أجزاء أخرى. وبذلك برهنوا على إمكانية الحركة بإفترضهم وجود "الجزء الذي لا يتجزأ" وذلك لأنه إذا كان هناك حد الإنقسام المكان والزمان فإن الحركة من نقطة في المكان إلى نقطة أخرى ممكنة في زمن متناه. ^{١٨}

فمن خلال رأى محمد إقبال ربما كانت نظرية الأشاعرة عن الزمان هي أول محاولة في الفكر الإسلامي لفهم الزمان فهما فلسفياً، فالزمن حسب نظريتهم هو تتابع "الأنيات" الفردية، ويترتب على هذا الرأى بوضوح، أنه بين كل اثنين فرديين أو بين لحظات الزمن توجد لحظة غير مشغولة أى خالية، وهذا معناه أن هناك خلاء أو فراغاً في الزمان.

وترجع لا معقولية هذه النتيجة إلى أن الأشاعرة قد نظروا إلى هذه المسألة من وجهة نظر موضوعية خالصة، ولم يأخذوا العبرة من تاريخ الفكر الإغريقي الذي تبنى نفس وجهة النظر ولم ينته إلى نتيجة.

فإن فكرة الزمان بإعتباره شيئا تام الموضوعية هي فكرة تعترضها المشاكل والصعوبات، وينبغي رغم ذلك أن نعترف بأن العقل العربي العملي لم يستطع اعتبار الزمن شيئا وهميا غير حقيقي مثلما فعل الإغريق، كما أنه لا يمكن انكار أنه رغم عدم امتلاكنا عضوا حسيا لإدراك الزمن إلا أن الزمن نوع من التدفق، وله بهذه الصفة جانب موضوعي يمكن تسميته بالجانب الذري أي أن الزمن ينقسم إلى أجزاء متناهية.

هكذا ينتقد محمد إقبال وهو لا يرضى عن فكرة الأشاعرة في الزمان ولو كان إتجاه العلم الحديث في الواقع يتطابق مع رأى الأشاعرة ذلك لأن الكشوف الجديدة في علم الفيزياء عن طبيعة الزمن تفترض في المادة التقطع أي عدم الإستمرارية.^{١٩} فيقول أيضا:

"لذلك إنساق الأشاعرة إلى استحداث نوع مختلف من النظرية الذرية، وحاولوا التغلب على مشكلات المكان، المدرك حسيا بطريقة تشبه النظرية الذرية الحديثة".^{٢٠}

ولو كان هذا رأي الأشاعرة فنرى نصير الدين الطوسي "والبيروني" قريب منهم أيضا إلى حد ما، يقول محمد إقبال: "وكان الطوسي هو الذي فجر السكون الذي ساد عالم الرياضيات ألف عام، إذ أنه أثناء محاولته إصلاح نظريه اقليدس" ادرك ضرورة التخلي عن الفضاء المحسوس، وهكذا وضع الأساس وإن كان ضعيفا لحركة الفضاء الفوقي أو الحيز الزائد في عصرنا الحالي". ومع ذلك فقد كان "البيروني" في بحثه عن فكرة الرياضيات الحديثة عن الدالة، يرى من وجهة نظر علمية بحتة عدم كفاية الرؤية الإستاتيكية للكون".^{٢١}

فهذا كان افتراق عن الفكر الإغريقي واضحا حيث تثبت من هذه النظرية بأن وجود الكون متحرك غير ساكن، كما نعرف خلال هذه النظرية بأن هذا الكون يجرى إلى تكميل.

ومن خلال هذه الآراء نجد

أن المسلمين قاموا خلاف آراء الإغريقية في الزمان والمكان، وهذبوها.

وأن الأشاعرة هم أول الذين قاموا بتشريح الزمان فلسفيا.

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

ولكن هم ينظرون إلى حقيقة الزمان من خارج مثل ما فعلوا اليونانيون ولذا فإن هذه الفكرة لا ترضى محمد إقبال. ولو كانت فكرة الأشاعرة تتطابق مع العلم الحديث في الواقع ولكن كلا منهما قد فشل في إدراك الجانب الذاتى للزمن، وهما يفتقران إلى التحليل النفسي فكان من نتيجة هذا الفشل أن نظرياتهم فصلت ما بين منظومة ذرات المادة ومنظومة ذرات الزمن بلا أي علاقه عضوية تربط بينهما.

ونحن نواجه صعوبة خلال رأى الأشاعرة أيضا وهي : إذا نظرنا إلى الزمن من وجهة نظر موضوعية خالصة (يعنى النظرة من الخارج فلا نستطيع تطبيق الزمن الذري على الذات الإلهية، لأننا لا نستطيع أن نتصوره كحياة لاتزال في مرحلة التكميل.

فهذه المشاكل قد أدركها علماء الدين الإسلامي المتأخرون ادراكا عميقا، ويشير محمد إقبال إلى رأي "ملا جلال الدين الدواني (٨٣٠-٩١٨هـ) وهو يقول : "أننا لو اعتبرنا الزمان نوعا من الفترة أو المدة التي تجعل في الإمكان ظهور الأحداث كموكب متعاقب الحركة، وأن تدرك هذه الفترة بإعتبارها وحدة، فإننا عندئذ لا نستطيع إلا وصفها بأنها حالة أصيلة للفاعلية الإلهية تحيط كل الحالات المتوالية لهذه الفاعلية".^{٢٢}

ولكن "الملا" شديد الإهتمام بإضافة حقيقة أخرى، وهي أن التأمل الأكثر عمقا في طبيعة التوالى يكشف عن نسبيته، ولذلك فإن التوالى يختفى في حالة الحديث عن الذات الإلهية التي يحيط علمها بجميع الأحداث في فعل ادراكي واحد.

كما نجد "عين القضاة الهمداني (٤٩٠-٥٢٥هـ)" مشابها في هذا الموضوع بأن الماهية للزمان مختلف حسب الوجود المختلفة ، أما للوجود المادى ينشأ بدوران الأفلاك وقد ينقسم إلى الوقت ما في ماضي وحال ومستقبل، وأما الوقت لوجود الذى غير ماديا له التوالى والتسلسل مثل التوالى للوجود المادى ولكن التدفق السريع منه، فمائة سنة لوجود المادى ربما يكون لحظة لوجود الذى غير المادى على سبيل المثال، وعندما ترتفع إلى أعلى فأعلى في سلم الكائنات غير المادية فإننا نصل إلى الزمن الإلهى بالتدرج الذى يخلو تماما وبالتالي لا يقبل الإنقسام والتتابع والتغير، أنه فوق القدم فوق الأبدية ليس له بداية ولا نهاية".^{٢٣}

هذه الصورة التي يمسيتها القرآن بأمر الكتاب " الذي جمع فيه كل التاريخ خلاصا من شبكة التسلسل السببي في أن واحد فوق الأبدية.^{٢٤} أما المكان فاستدل "الهمداني" من آيات القرآن مثل:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.^{٢٥}

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.^{٢٦}

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُؤْسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ.^{٢٧}

فمن خلال هذه الآيات يستدل الهمداني بوجود نوع من المكان منسوباً إلى الذات الإلهية، ولكن يجب أن لا ننسى أن ألفاظ القرب والاتصال والانفصال التي تنطبق على الأجسام المادية لا تنطبق على الذات الإلهية، فالحياتة الإلهية تتصل بالكون كله على مثال اتصال الروح بالجسد، فالروح لا هي داخل الجسد ولا هي خارجه ولا هي قريبة ولا هي منفصلة عنه، ومع ذلك فإن اتصالها بكل ذرة في الجسد هو أمر حقيقي، ولكن أي نوع من المكان الذي يمكن إسناده للذات الإلهية المطلقة؟

فأنواع المكان ثلاثة كما ذهب إليه "الهمداني" :

١- مكان الأجسام المادية

٢- مكان الكائنات غير المادية

٣- مكان الذات الإلهية

فالمكان الإلهي هو خال على وجه الإطلاق من كل الأبعاد ويشكل نقطة التلاقي لكل اللاهائيات، يعني مكان الإلهي وهو لامكان.

ف نجد رأى الهمداني بأن هذه الفكرة مستنيرة في عصر لم يكن لديه أدنى فكرة عن النظريات والآراء الحديثة في الرياضيات وعلم الفيزياء. كما فكرة الزمان والمكان لهمداني ينتج بأن الزمان الإلهي يخلو تماما من التغير أيضا.

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

فهذه النتائج لا ترضى محمد إقبال لأن هذه الفكرة تسلمنا إلى أن الكون الكامل غير متغير، وكما كان من المستحيل عليه اكتشاف العلاقة بين الزمان الإلهي والزمان المتسلسل المادى، وبالإضافة هذه الفكرة قد تكون خلافا لفكرة الإسلامية الأساسية عن الخلق المستمر التي تعنى وجود الكون ينمو ويتسع.

من خلال رأى محمد إقبال فإن هذا الكون متحرك غير ساكن لدى المسلمين، وهذا ما نجد عند كثير من علماء المسلمين مثل الأشاعرة" و "ابن مسكويه (٣٢٠-٤٢١هـ)" و "ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ) و الرازى (٢٥٠-٣١١٨هـ)" و "الغزالي (١٠٥٨-١١١١م)".^{٢٨}

واكتفى بهذا القدر في فهم فكرة الزمان والمكان بالعموم خلال آراء المسلمين وأخيرا تستطيع أن نقول بأن تصور الزمان والمكان لدى المسلمين تصور المضاعفة أو التصور الثنائية حيث الزمن المتسلسل الذي ينشأ بدوران الأفلاك وهى للمادة، والزمن الخالص وهى الزمن الإلهى، الذى خال عن التسلسل والتتابع. كما نجد المكان ايضا المكان للمادة وهى تشتمل عليه نقط والمكان الإلهى الذي يعرف باللامكان.

أما الرأى الأخير الذى يميل إليه محمد إقبال ويرجحه فهو رأى ابن خلدون ففكرته ذات أهمية قصوى عنده حيث فكرته تنطوى عليه من اعتبار التاريخ حركة مستمرة في الزمان وحركة خلافة أصيلة وليست حركة مسار سبق تحديد من قبل".^{٢٩}

الثالث رأى فلاسفة الغرب

يذكر محمد إقبال بعض آراء الفلاسفة مثل : نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧م) و "نيشيه (١٨٤٤ - ١٩٠٠م)" و اوس بنسكي (١٨٧٨ - ١٩٤٧م) و آينشتاين (١٨٧٩-١٩٥٥م) و برجسون (١٨٥٩-١٩٤١م)، ويكر عليها بالنقد وها من الآن نذكر هذه الآراء في لمحات سريعة مبينة موقف إقبال فيها وتنقيده فيما يلى : وينتقد عليها، فنذكرها إجماليا ومختصرا.

تعتبر فكرة الزمان عنده نيوتن فكرة ثنائية.

١- الزمن المطلق الذي يجرى بشكل منتظم.

٢- والزمان العام الذى يستخدم في حياتنا اليومية والذي معيار لنا بظاهره.
فالزمان الذي نحن نعيش فيه وهو الزمان العام ولكن في عمق هذا الزمان هناك زمان آخر وهو الزمان المطلق.

أما "نيتشه فيقوم مذهبه على افتراض أن كمية الطاقة في الكون ثابتة وبالتالي نهائية، فالزمن ليس صورة ذاتية بل هو عملية حقيقية لا نهائية، ولا يمكن تصورها إلا أنها دورية ولما كان الزمن لا نهائياً، فان كل التركيبات الممكنة لمراكز الطاقة قد تم استنفادها، فلا توجد أحداث جديدة في الكون، وكل ما يحدث الآن قد حدث من قبل مرات لا نهاية لعدددها، وسوف يستمر في الحدوث مرات لا نهاية لعدددها، وبالتالي نظام الأحداث في الكون يجب أن يكون ثابتاً غير قابل للتغيير.

وينقد محمد إقبال فكرة نيتشه : بأن نوع من الميكانيكية الآلية الأكثر جموداً، أنه لا يقوم على حقيقة مؤكدة، وإنما فقط على فرض صالح للعمل في مجال العلوم.^{٣٠}

كما أن نيتشه لم يتناول بطريقة جدية مسألة الزمن، فهو ينظر إلى الزمن بموضوعية ويعتبره مجرد سلسلة لامتناهية من الأحداث التي تعود إلى نفسها مرة بعد أخرى، ومن المؤكد أن الزمن بإعتباره حركة دائرية أبدية يجعل الخلود أمراً لا يمكن احتماله على وجه الإطلاق.

فنظرية "نيتشه جبرية بل أسوأ مما تتضمنه كلمة "قسمة" فضلاً عن عجزه عن تهمة الكائن الإنساني للكفاح في الحياة يميل إلى القضاء على ميوله للعمل ويرخى من توتر الذات علماً بأن نظرية القرآن للقدر أخلاقية في جانب منها وبيولوجية في جانبها الأخر.^{٣١}

أما "أوس بنسكي" : الفيلسوف الروسي يعتبر الزمان سمة أو جهة لمكان يعنى أنها حركة جسم ثلاثي الأبعاد في إتجاه خارج ذاته فهذه الحركة هي الزمان في الحقيقة.

وينقد محمد إقبال هذا الرأي، ليس الزمان في فكرته حركة أصيلة خلاقة، وبالتالي ما نسميه أحداثاً مستقبلية ليست أحداثاً جديدة وإنما هي أشياء وجدت بالفعل واستقرت في مكان مجهول.^{٣٢}

أما "برجسون": فعنده حياة الفكرى للإنسان تنتقل من كيفية إلى كيفية أخرى، ولذا هو يقسم شعور الإنسان أو فكرته إلى جهتين : جهة الخارجية التي تتعلق بزمن متسلسل وجهة الأخرى الداخلية أو الباطنية التي تتعلق بالزمن الخالص، وهو يسمى الزمن الخالص أن

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

او دوران فعنده الزمن الخالص هو التغير الخلاق بالحرية غير متسلسل الذي قد يختلط فيه الماضي والحال، أما المستقبل فهو خال عنه والدليل عليه لو يأتي فيه مستقبل أيضا فهذا لا يكون الخلاق بالحرية.^{٣٣}

فمن خلال نظرية "برجسون الإنسان يعيش في زمنين الماضي والحال وهو مقيد بزمن المتسلسل خارجيا ولكن يستطيع فكرة الإنسان أو شعوره أن يشاهد الزمن الخالص باطنا أو داخلا.

أما النظرية النسبية عند أينشتاين فهي أهم نظرية في فهم فكرة الزمان والمكان بحيث هدمت أساسيات النظرية القديمة للمادة، بأن الشئ المشاهد متغير، فهو نسبي للملاحظ، إذ تتغير كتلته وشكله وحجمه بتغير وضع الملاحظ وسرعته، وكذلك الحركة والسكون أيضا نسيبان للملاحظ، ومن ثم فليس هناك شئ اسمه مادة لها وجود بذاتها كما في علم الطبيعة القديم.

فكانت المادة بوجودها في الزمان تتحرك في المكان من خلال تصورهما القديم، أما اثبتت النظرية النسبية لأينشتاين بأن الزمان والمكان مزدوج مع بعض، والكون هو النظام المحتوى بالحوادث التي تتعلق فيه كل حادثة مع حادثة الماضية.

فنظرية المادة بأن هو شئ جامد متحرك أو الجسم المتحرك الذى يحيط المكان في الخلاء وهو قائم بأصله لا يتغير بتغيير الأحوال، أصبحت هذه النظرية خياليا.

فمن خلال نظرية النسبية الزمان والمكان ليسا مطلقان ولا مجردان وإنما كلاهما اضافيان، هذه النظرية لا تهدم موضوعية الطبيعة وإنما تهدم النظر إلى المادة باعتبارها موقعا بسيطا في المكان، وأنها تجعل المكان معتمدا على المادة، فالكون طبقا لنظرية انشتاين ليس جزيرة في فضاء لانهائي، بل هو متناه، ولكن بغير حدود، ولا يوجد بعده خلاء، فإذا انعدمت المادة انكمش الكون إلى نقطة.

ولكن هذه النظرية أيضا تنتج إلى نظرية ميكانيكية، من حيث هذه النظرية تعتبر الزمان بعدا رابعا للمكان بدوا إنها بالضرورة قد اعتبرت المستقبل شيئا معلوما بالفعل وقد استقر كالماضي الذي لا شك فيه.

ينقد محمد إقبال هذه الفكرة فيقول: فالزمن " بإعتباره حركة خلاقة ليس له معنى في هذه النظرية، أنه لا ينقضى، والأحداث لا تقع وإنما نلتقى بها التقاء، ولا يجب أن ننسى أن هذه النظرية تغفل بعض خصائص الزمان التي نعرفها بالتجربة، ولا يمكن القول بأنه خصائص الزمان قد استوعبتها الخصائص التي اشارت إليها النظرية لاستكمال الوصف المنظم لتلك الجوانب من الطبيعية التي يمكن معالجتها معالجة رياضية، وليس بالإمكان بالنسبة لنا، ونحن من سواد الناس أن نفهم الطبيعية الحقيقية للزمان كما يراه أينشتاين".^{٣٤}

فعند محمد إقبال تصور النظرية النسبية فلسفيا أهم من تصورها العلمية، لأن هذه النظرية تتعلق بصناعة الأشياء ظاهريا خلال العلم ولا يتكلم عن حقيقة الأشياء داخليا.

الزمان والمكان عند محمد إقبال:

هكذا يتبين لنا على ضوء ما سبق من عرضنا لفكرة الزمان والمكان في تاريخ الفلسفة ونقد محمد إقبال لمحات سريعة نتحدث الآن أن تصور إقبال المفهوم الزمان والمكان وعلاقتهما بالقضاء والقدر.

فالزمان ليس عنده كخط الذي خطه من قبل وإنما هو مثل الخط الذي لا يزال مستمرا، كما المكان له درجات التي تنتهي إلى مكان الله ويعرفه بلامكان.

فهو يقول : والرأي عندي أنه ليس أكثر بعدا عن النظرة القرآنية من القول بأن الكون تنفيذ في سياق الزمن لخطه سبق وضعها، والكون قابل للزيادة، إنه كون ينمو وليس منتجا مكتملا خرج من يد صانعه منذ احقاب قديمة. وهو الآن ممتد في الفضاء أشبه ما يكون بكتلة ميتة من المادة. لا يفعل فيها الزمان شيئا، وبالتالي فهي لا شيء.^{٣٥}

ويذكر هذه الحقيقة في شعره قائلا:

ضياء الصبح بعد الليل آت (ومن هذين كل الحادثات)
هما في الدهر خيط من حرير تلون بالحياة وباللمات
هما إيقاع أغنية الحجاب ولحن الحق في هذى الرحاب
على وتر الخلود لهم نشاط ملم بالقرار وبالجواب
وعندهما بكل الناس علم هما حجر المحك لكل شعب
فلا تفخر بقلبك دون زيف وجرب مثلما جربت قلبي

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

فان هو كان زيفك مثل زيفي ولم يك لي ولا لك أي قيمة
فعيدك مثل عيدى عيد موت وحظك مثل حظي في الولاية
وما المعنى ليومك أو ليومي بلا ليل يكون ولا نهار^{٣٦}

أما عن الطريق الصحيح الذي يمكن أن يساعدنا على فهم مسألة الزمان فهما حقيقيا
رأى محمد إقبال تحليل التجربة الشعورية تحليلا سيكولوجيا دقيقا، إذ أن هذه التجربة وحدها
هي التي تظهر حقيقة الزمان.^{٣٧}

فالزمان والمكان كلاهما اضافيان وحقيقيان^{٣٨} ولكن الزمان اهم من المكان، ولو كان
يوجد كل الأشياء في الزمان والمكان ولكن العلاقة بين الزمان والمكان الذهن للجسم، الذهن
هو الزمان أما الجسم هو المكان.

لأن هذا الكون يتحرك وينمو هذا الأساس للزمان أن يكون حقيقيا، ولو كان عكسا
لهذا يعنى هذا الكون لا يتحرك ولا ينمو فما كانت مسألة الزمان، ويدل على ذلك قول الله :
كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ.^{٣٩}

ونجد الحوار بينه وبين ملك الزمان والمكان "زروان" في كتابه رسالة الخلود، والملك
يكشف له الحقيقة بأن كل التدبير الإنساني يتعلق بقدر الزمان الحياة والموت حركتنا الزمان
ويقع الإنس والملائكة والكون كلهم في الزمان، وهو الجزء الأخير للحقيقة، يقول:

قال	زروان	أنا	الدنيا	قهرت
وأنا	من	قد	ظهرت	واختفيت
كل	تدبير	بتقدير	رأيته	
كل	حي	في	شباكي	حملته
إن	بي	للزهر	في	الغصن
ولتلك	الطير	في	الوكر	الغناء
تصبح	الحبة	إن	طرت	الغصونا
وبفيضى	الوصل	نال	العاشقونا	
وأنا	من	لي	العتاب	والخطاب

اقباليات ٦٥: ٣ — أكتوبر - ديسمبر ٢٠٢٣ء

أظمئ الظامي وأتى بالشراب
الحياة والممات والنشور
وأنا النار وجنات وحوار
في يدي الإنسان بل كل الملائك
وبني عالم من فيه هالك
ما قطفت من ورود فهو لي
أم ما لناظريك ينجلي
إنما الدنيا أسير في طلسمي
وتشيخ في زفير من فمي
"لى مع الله" حديث من وعاه
سرى المغمور في لبس وعاه؛
إن أردت لى رحىلا من هنالك
"لى مع الله" اذكرن في فؤادك
أى شيء كان لى من رؤيته
قد نسيت عالمي من قدرته
علما آخر ابدى يا ترى
أو كان عالمي قد غيرا !
بين الوان وريح قد قضيت
وإلى دنيا الكون قد مضيت
وأنا عن عالمي هذا انقطعت
علما آخر إني قد ملكت
الضباع عالمي إني حزنت
من تراي غيره ها قد وجدت
خف جسمى، ذاك روجي ما
وبقلي زاد نور للبصر

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

استقر والخفايا ما عليها من حجاب
والنجوم لحنها لحن عجاب.^{٤١}

أقسام الزمان :

ويقسم إقبال الزمان الى قسمين الزمن المسلسل والزمن الخالص:
ويتعلقان هذان القسمان بالذات الإنسانية من ناحيتين، حيث أن الذات الإنساني له
جهتين جهة العمل وجهة الفكر. فتتعلق جهة العمل بزمن المسلسل كما ترتبط جهة الفكر
بزمن الخالص، وبالتالي فإن الزمن المسلسل يتتعلق بجهة الخارجية للإنسان كما إن الزمن
الخالص يتتعلق بجهة الداخلية أو الوجدان.^{٤٢}

أو بتعبير أوضح : الذات الانسانية لها جانبان : الجانب المدرك أو العارف والجانب
الفاعل. ففي جانبها الفاعل تدخل الذات في علاقة مع ما نطلق عليه عالم المكان، وهي هنا
تكون موضوعا لعلم النفس الترابطي، أنها الذات العاملة في الحياة اليومية... الزمان الذي
تعيش فيه الذات الفاعلة هو الزمان الذي نصفه بالطول والقصر، وهو لا يكاد يتميز عن
المكان. ولا ندركه إلا كخط مستقيم يتألف من نقاط مكانية منفصلة بعضها عن بعض،
كأنها مراحل لا حصر لها في رحلة واحدة.

وتشبه وحدة الذات العارفة وحدة النطفة التي تتجمع فيها كل خبرات أجدادها، لا
بحسبانها حشدا من أفراد متعددة. ولكن باعتبارها وحدة تندمج فيها كل خبرة بالخبرات
الأخرى، فوحدة الذات ليس فيها عددي في حالاتها، فالتعدد في عناصرها هو تعدد كفي لا
كمي على خلاف التعدد في الذات الفاعلة، نعم هناك تغير وحركة، ولكن هذا التغير وتلك
الحركة لا انقسام فيها، عناصرها متداخلة ولا تعاقب في طبيعتها.^{٤٣}

ونستخلص مما سبق أن العقل لا يستطيع أن يمشى بدون تقسيم الوقت بالماضي والحال
والمستقبل فلذا يتتعلق بزمن المسلسل أما الوجدان فهو يصل إلى المقصود بلحظة بدون تقسيم
الزمن ولذا هو يتتعلق بالزمن الخالص.

واستدل على هذين القسمين من آيات القرآن حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ، وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ٥ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسئَلْ بِهِ خَبِيرًا. ٤٤

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدْرِ ٥ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ٥ ٤٥

وكما نجد هنرى برجسون قد سار على النهج نفسه الذي سار عليه محمد إقبال إلا أنه يجرد الزمان عن المستقبل وأن محمد إقبال يضمه، فيقول ناقدا عليه (برجسون) يرى التجربة الشعورية على أنها الماضي الذي يتحرك مع الحاضر ويؤثر فيه، وهو يغفل أن الوحدة الشعورية لها أيضا جانبها المستقبلي، فالحياة إنما هي سلسلة من أفعال الانتباه، ولا يمكن تفسيرها إلا في إطار مرجعية شعورية أو لا شعورية، حتى أفعالنا الإدراكية تحددها مصالحنا وأهدافنا المباشرة

وفكره الغاية لا يمكن فهمها إلا في إطار المستقبل، لا شك أن الماضي يسكن الحاضر ويؤثر فيه ولكن عملية وجود الماضي في الحاضر ليست هي الشعور كله. فعنصر الغاية يكشف عن نوع من النظرة المستقبلية في الشعور، ذلك لأن الغايات لا تلون حالتنا الشعورية الراهنة فحسب، وإنما تكشف عن اتجاهها المستقبلي أيضا. ٤٦

فعند محمد إقبال لكل تجربة شعورية لها هدف وغاية وهذه الغاية والهدف لا يتحقق إلا في إطار المستقبل والمستقبل ليس غير متعين وإنما يمكن تصوره بشكل الامكانيات المستقبلية. مع ذلك يستحسن محمد إقبال فكرة هنرى برجسون بأنه قام بتحليل مشكلة الزمان بطريقة جيدة من الآخرين. ٤٧

أما عمل التخليق للإله فهو في كلا الزمانين المسلسل والخالص، والدليل عليه :
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسئَلْ بِهِ خَبِيرًا. ٤٨

ففي هذه الآية تدل الكلمة ستة أيام إلى الزمن المسلسل.
ويقول الله سبحانه وتعالى: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدْرِ ٥ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ٥ ٤٩

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

ففى هذه الآية تدل الكلمة كلمح بالبصر على الزمن الخالص. كما هو يسميه الزمن الإلهى فى لغة القرآن اللوح المحفوظ أو أم الكتاب".^{٥٠}

كما نجد أمثله لحقيقة الزمن الخالص من التجربات الروحانية لدى الصوفية ولا حصر لهذه التجربات. ويؤكد لنا العلم الحديث هذه الفكرة فى هذه الأيام، فعلى سبيل المثال نجد: عدد ذرات النور كثير جدا حيث لوعددتنا هذه الذرات فى لمحة واحدة فقط ، فرمما نحتاج أكثر من مليون سنة، ولكن نحن نشعرها بعمل الرؤية الواحدة أقل من ثانية، وهكذا تتغير التواتر والتسلسل أو الكثرة بوحدة فى لمحة واحدة.

وأخيراً فى هذا البحث يؤكد محمد إقبال قول "اوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م)" حيث يقول : "إني أعرف الزمان إذا لم يسألني أحد، أما إذا حاولت شرحه لسائل فيني أجهله".^{٥١} على ضوء ما سبق يتبين لنا أن أصل الحقيقة هى الروحانية، كما أن الزمان حقيقة وهو الحركة الحرة الخلاقة، اضعف إلى ذلك أن الكون مستمر لتكميل وليس كامل وإنما الكون هو الاظهار لإمكانات فى الزمان.

إن محمد إقبال أراد أن يجدد فكرة الزمان والمكان من خلال علوم حديثة ولذا استفاد كثيراً وقبل كثيراً من الأشياء من العلماء المهندسة خاصة من أينشتاين وهنرى برجسون. وهذا المقتضى الأجيال الجديدة الحالية والقادمة.

ويمكن لنا الآن أن نفهم علاقة القضاء والقدر مع فكرة الزمان والمكان من خلال عبارة محمد إقبال وربما هو أول فيلسوف إسلامى الذى اكتشف علينا هذا الربط العميق بين القضيتين وهو يقول: "الزمان باعتباره كلاً لا يتجزأ هو ما يسميه القرآن التقدير" أو "القدر" وهى الكلمة أسىء فهمها فى العالم الإسلامى وفى خارج العالم الإسلامى، فالقدر هو الزمان إذا نظرنا إليه على أنه سابق على وقوع امكاناته أنه زمان متحرر من شبكة تتابع العلة والمعلول، أو ذلك الرسم البياني الذي يفرضه الفهم المنطقى على الزمان، وباختصار أنه الزمان كما نشعر به لا كما نفكر فيه أو نحصيه".^{٥٢}

فقدر الشيء ليس قضاء غاشما يعمل من خارجه، وإنما هو وسع جواني للشيء، امكانياته القابلة للتحقق تكمن في أعماق طبيعته، وهي تحقق وجودها البراني على التوالى دون شعور باكره خارجى.

نظرية الزمان يوافق تماما لنظرية القدر لدى محمد إقبال، لأن المستقبل يوجد في الزمان بامكانات غير معينة كما لا يمكن الوجود للمستقبل المتعين في القدر. ولذا هو يعبر مسألة الزمان والمكان كمسألة الموت والحياة في الأهمية لدى المسلمين.^{٥٣}

نجد في كتابه جناح جبريل نظما بإسم "الزمان" حيث يتكلم الزمان بلسانه عن صفاته فهذه محاولة جميلة لمحمد إقبال في هذا النظم لكشف الأسرار عن الكون والحياة:

شعلة	العمر	من	لهيب	الثواني
اشعلتها	تغيرات			الزمان
غدك	الطعم	في	حباله	امس
فترفق	بيومك			المتفاني
يرقب	الناس	طالعا	ذا	خيال
ويخوضون	في	جميع		الأمامي
وأنا	ذلك	الخيال		ولكن
يصعب	اليوم	شرح	تلك	المعاني
يسقط	العالم	الجديد		بكأسى
قطرة	قطرة	كرشح		الدنان
سبح	القوم	لعبة	في	يديهم
أنا	سبحتي	ليالي		زمانى
كل	حياتها	عرفت		ولكن
لا	اسوى	بين	الجميع	بشأني
ولكل		طريقة		وسلوك
بعضها	فارسي	وأخرى		حصاني
مرة	أجعل	الأعنة		سوطا

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

مرة	أجعل	السياط	عناني
لك	من	حفلة	نصيب
فإذا	لم	تكن	بجان
ليس	من	عادي	كأسا
لنديم	على	كرامة	حاني ^٥

قام محمد إقبال في كتابه الأسرار والرموز" بتعرف أهمية الوقت وأقسامه، حيث يريد من أمة الإسلامية أن تنهض وتصل إلى حقيقة الزمن الخالص، كما كانت عادة أسلافها، لأن الأمة الإسلامية تورطت في عقود الزمن المتسلسل ورضت بأن تكتفى لحياتها الأكل والشرب والنوم والاستيقاظ إلى غير ذلك ... ولكن عند محمد إقبال ليس الفرق بين هذه الحياة وحياة الحيوانات التي لم تتعرف أهمية الزمن ولا تستطيع أن تصل إلى حقيقة الزمن الخالص ولكن لو يشعر الإنسان أهمية الزمن الخالص ويحاول أن يصل إليه فستظهر العالم الجديد من قوته الخلاقة، ولذا الإمام الشافعي رحمه الله تشبه الوقت بالسيف القاطع وهو ينقل من الصوفية، لو عثر الإنسان على هذا السيف فینبت الأنهار من الأحجار من ضربه كما يبس الأبحار منه أيضا كما فعل سيدنا موسى عليه السلام، واستخدم سيدنا على المرتضى رضی الله عنه هذا السيف في المعارك ونال الفتوحات.

أما الشخص الذي يعدد الزمن بأيامه ولياله فهو لا يعرف حقيقة الزمن وبالتالي هو في ضلال مبين، فأحب أن أنهى هذا الفصل بنظم محمد إقبال الذي يلخص فيه مراده من الزمن المتسلسل والزمن الخالص :

الوقت سيف

نضر	الله	تراب	الشافعي
سحر	الألباب	هذا	الألمعي
فكره	قد	صاد	لامعا
حين	سمى	الوقت	قاطعا ^٥
فات	خوفا	ورجاء	صاحبه

اقباليات ٦٥: ٣ — أكتوبر - ديسمبر ٢٠٢٣ء

كفه	كف	كليم،	ضاربه
تغدق	الصخرة	من	ضربته
ويغيض	البحر	من	صولته
كان	هذا	السيف	في كف الكليم
فشأ	التدبير	بالعزم	الصميم
شق	صدر	البحر	لمع القبس
صير	القلزم	مثل	البيس
وبهذا	السيف	يوم	الخطر
زلزلت	خير	كف	الحيدر ^{٥٦}
ممكن	أبصار	دور	الفلك
وتوالى	نوره		والحلك
يا	أسير	اليوم	والأمس انظرا
انظرن	في	القلب	كونا سترا
أنت	في	النفس	بذرت الباطلا
وحسبت	الوقت	خطأ	طائلا
وذرعت	الوقت	طولا،	للشقاء
بذراع	من	صباح	ومساء
وجعلت	الخيط	زنارا	لكا
صرف	للأصنام	ندا	ويلكا!
صرت	يا	أكسير	تربا سافلا
يا	وليد	الحق	صرت الباطلا
اقطع	الزناز	حرا	لاتمن
شمعة	في	محمل	الأحرار كن
أيه	يا	غافل	عن أصل الزمان
كيف	تدرى	ما	خلود الحيوان ^{٥٧}

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

يا أسير الصبح والمسي اعقلن
"لى مع الله" ^{٥٨} بها الوقت اعرفن ^{٥٩}
كل ما يظهر من تسياره
والحياة السر من أسراره ^{٦٠}
ما من الشمس أراه يوجد
أنها تفنى وهذا يخلد
و به الشمس أضاءت والقمر
وبه في العيش ما ساء وسر
قد بسطت الوقت بسطا كالمكان
وفرقت اليوم من أمس الزمان
يا شذا قد فر من بستانه
وحبيس السجن من بنيانه ^{٦١}
وقتنا بين الحنايا سافر
ليس فيه أول وآخر
الحياة الدهر يا من عرفا
"لا" تسبو الدهر" قول المصطفى ^{٦٢}
نكتة كالدرد خذها راقئة
بين حر ورقيق فارقة
حيرة العريد مسيرة الزمن
حيرة الأزمان قلب المؤمن
ينسج العبد عليه كفنا
من صباح ومساء مدعنا
وترى الحر من الطين نجا
نفسه حول الليالي نسجا

اقباليات ٦٥: ٣ — أكتوبر - ديسمبر ٢٠٢٣ء

قفص	العبد	صباح	ومساء
يكرم	التحليق	في	السما
ويصدر	الحر	ثار	النفس
طائر	الأيام	فيه	يجبس
فطرة	العبد	حصول	الحاصل
ليس	في	تفكيره	من
في	مقام	من	همود
نوحه	ليلا	وصبحا	واحد
ومن	الحر	جديد	الخلقة
كل	حين،	وحدث	النعمة
قيد	العبد	صباح	ومساء
ثوى	في	فمه	لفظ
وارى	الحر	مشيرا	للقدر
صورت	كفاه	أحداث	الدهر ^{٦٤}
عنده	الماضى	التقى	والقابل
عاجل	بين	يديه	الأجل ^{٦٥}
ضاق	عن	معناى	حرف
عجز	الإدراك	في	هذا
قلت،	واللفظ	من	المعنى
وشكا	المعنى	من	اللفظ
مات	معنى	في	حروف
ناره	يحمد	منك	النفس
سرغيب	وحضور	في	القلوب
رمز	وقت	ومرور	في
إن	للوقت	للحنا	صامتا

فكرة الزمان والمكان وعلاقتها بالقضاء والقدر عند محمد إقبال - محمد رضوان محمود

وله	في	القلب	سرا	خافتاً ^{٦٧}
اين	ايام	بها	سيف	الدهر
صرفته	في	أيدينا	القدر ^{٦٨}	
قد	غرسنا	الدين	في	أرض
وجلودنا	الحق	من	ستر	الغيوب
ومن	الدينا	حللنا	العقدا	
واستنار	الترب	منا	سجدا	
من	دنان	الحق	صرفنا	الرحيق
وهدمنا	حانة	العصر	العتيق ^{٦٩}	

الخاتمة: الزمان والمكان وعلاقتهما بالقضاء والقدر عند محمد إقبال

من خلال استعراض وتحليل مفهوم الزمان والمكان في فلسفة محمد إقبال، يتضح أنه قدّم رؤية متجددة تجمع بين الفهم الإسلامي الأصيل والتطورات العلمية والفلسفية الحديثة. رأى إقبال أن الزمان ليس مجرد إطار جامد للأحداث، بل هو حركة ديناميكية مستمرة تمثل جوهر الحياة والإبداع، مما يعزز من دور الإنسان ومسؤوليته في تشكيل مستقبله، بدلاً من أن يكون خاضعاً لمصير حتمي لا فكاك منه.

لقد أعاد إقبال تفسير مفهوم القضاء والقدر من منظور أكثر عمقاً، حيث اعتبر أن القدر ليس قوة قاهرة تتحكم في الإنسان بلا إرادة، وإنما هو إمكانيات مفتوحة يمكن تحقيقها من خلال الجهد والسعي والإبداع. فالزمان، وفقاً لرؤيته، هو المجال الذي تتحقق فيه هذه الإمكانيات، وهو ليس مجرد خط مستقيم ثابت، بل تدفق مستمر يحمل بين طياته احتمالات متعددة، يختار الإنسان منها ما يشاء بناءً على إرادته وسعيه.

كما انتقد إقبال الرؤى الفلسفية التقليدية حول الزمان والمكان، سواء عند الفلاسفة الإغريق، أو الفلاسفة المسلمين المتأثرين بهم، أو حتى المفكرين الغربيين، معتبراً أن النظريات التي ترى الزمان والمكان ككيانات ثابتة أو دائرية لا تعكس الحقيقة الديناميكية للوجود. وقد استفاد من النظريات العلمية الحديثة، مثل النظرية النسبية لأينشتاين، وتحليل الزمن عند

برجسون، لكنه لم يقبلها بالكامل، بل سعى إلى تطوير فهم أكثر تكاملاً يتناسب مع التصور الإسلامي القائم على النمو والتطور المستمر. في النهاية، يمكننا القول إن فكر محمد إقبال حول الزمان والمكان يقدم رؤية فلسفية وروحية عميقة تؤكد على دور الإنسان الفاعل في صياغة مستقبله، وترفض كل أشكال الجبرية المطلقة التي تعطل الإبداع الإنساني. هذه الفلسفة لا تزال ذات أهمية كبيرة في عصرنا الحالي، حيث يمكنها أن تلهم الأفراد والمجتمعات للنهوض والسعي نحو مستقبل أكثر إبداعاً وعدالة واستنارة، بدلاً من الاستسلام لفكرة الحتمية والجمود.



حواله جات و حواشى

- ١- محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، مترجم: محمد يوسف عدس، دارالكتاب المصري، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٨٧
- ٢- المفهوم الحديث للمكان والزمان، تأليف: ب س ديفيد، ترجمة: د السيد عطاء، ط: ب الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠
- ٣- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٠٠
- ٤- للتفصيل، د على عبد المعطى محمد، مقدمات الفلسفية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٣٥
- ٥- انظر للتفصيل : د.عزة محمد حسن، الزمان بين الفلاسفة والمتكلمين، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥٣١-٥٣٣
- ٦- د- احمد محمد الطيب، موقف ابي البركات البغدادي من الفلسفة المشائية، رسالة الدكتوراة بجامعة الازهر الشريف، غير مطبوعة، ص ١٩٣، رقم الرسالة: ٣٦٢٠-١-٩٢١، ١٩٩٠
- ٧- التفصيل : د- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ط: درا العالم العربى، ٢٠١٢ء، ص ٨٧؛ إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٣٥
- ٨- د- جاويد اقبال، افكار إقبال، سنغ ميل، لاهور، ٢٠٠٨ء، ص ٩٠
- ٩- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٦٣
- ١٠- النحل : ١٢
- ١١- النور: ٤٤

- ٢٠: لقمان: ٢٠
- ٢٣: الراوي: أبو هريرة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة: ٢٢٤٦ ، خلاصة حكم المحدث: صحيح
- ٢٤: ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب التغيير باب يوم نبطش الكبرى انا منتقمون ج٨، ص ٥٧٤ حديث رقم ٤٨٢٦
- ٢٥: التفصيل تفسير الرازي، تفسير صراط الذين انعمت عليهم.
- ٢٦: العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الالباس، ط: دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٥١هـ، ص ٣٤٢، ج ٢
- ٢٧: في مجمل الأمر كان الهدف من حركة الاشاعرة ببساطة هو الدفاع عن الرأى التقليدي عند أهل السنة باسلحة من الجدل الاغريقي. إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٩
- ٢٨: الأمدى، غاية المرام في علم الكلام - تحقيق شيخنا المحسن الشامي ، ص ٢٨٠ - ٢٨١، ط: المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية قاهرة، ٢٠١٠
- ٢٩: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٢٦
- ٣٠: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢١٨
- ٣١: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢١٩
- ٣٢: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٢٨
- ٣٣: للتفصيل: عين القضاة الهمداني، غايه الامكان في درايه المكان، رحيم فارما نيش طهران ١٩٥٩، ص ٥٤
- ٣٤: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٢
- ٣٥: المجادلة: ٧
- ٣٦: يونس: ٦١
- ٣٧: ق: ١٦
- ٣٨: للتفصيل: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٣٢، ٢٣٣؛ الأمدى غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن الشافعي، ص ٢٧١
- ٣٩: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٣٥
- ٣٠: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٨٨
- ٣١: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٨٩
- ٣٢: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٧٧، ٧٨
- ٣٣: دكتور زكريا ابراهيم، برجسون، ص ٦٤، ٦٥؛ د. جاويد اقبال، افكار إقبال، ص ٩٣
- ٣٤: إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٧١، ٧٢

- ٣٥- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٩٥
- ٣٦- إقبال، الأعمال الكاملة، اعداد: سيد الماجد الكوري، ط: دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٤٧٧
- ٣٧- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٢٧
- ٣٨- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٠٠
- ٣٩- الرحمن: ٢٩
- ٤٠- اشارة الى حديث الشريف
- ٤١- الأعمال الكاملة لمحمد إقبال، رسالة الخلود، ص ١٥٣
- ٤٢- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢١، ٢٢
- ٤٣- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٨٤، ٨٥
- ٤٤- الفرقان : ٥٨ ، ٥٩
- ٤٥- القمر : ٤٩ ، ٥٠
- ٤٦- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٩٢، ٩٣
- ٤٧- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٨٢
- ٤٨- الفرقان : ٥٩
- ٤٩- القمر : ٤٩ ، ٥٠
- ٥٠- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢٢
- ٥١- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ١٠٠
- ٥٢- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٨٧، ٨٩
- ٥٣- إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص ٢١٨
- ٥٤- الأعمال الكاملة لمحمد إقبال . جناح جبريل، ص ٥١٩
- ٥٥- قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى حرفين، وفي رواية سوى ثلاث كلمات: قولهم: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك. وقولهم نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتنك بالباطل. وقولهم العدم عصمة، جلال الدين السيوطي، تأييد الحقيقة العلية.
- ٥٦- المراد من الحيدر سيدنا علي المرتضي رضي الله عنه.
- ٥٧- الحيوان : الحياة.
- ٥٨- إشارة إلى الحديث : لى مع الله وقت لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ملا على القاري، الأسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة، ص ٣٩٢
- ٥٩- ويريد الشاعر أن يقول أن الوقت حال الإنسان، لا ساعات الفلك.
- ٦٠- الضمير يرجع إلى الوقت.
- ٦١- يقول الشاعر: انك احيانا كالثائحة لا تثبت في بستانها، وحيانا سجين في سجن بنته يد تسير مع ساعات الزمن، وتحبس نفسك فيها والوقت هو انت.

-
- ^{٦٢} - رواه الامام مسلم في صحيحه باب النهي عن سب الدهر، ج ١، سردار احياء التراث العربي بيروت.
- ^{٦٣} - لفظ القضاء والقدر، يمثل به، ويحيل الأمور عليه.
- ^{٦٤} - عزم الحر من القضاء. ويقول الشاعر في هذا : أن القضاء يستشير الحد فيما يفعل.
- ^{٦٥} - لا يجتدل بأن شيئاً قد فات وقته وأن شيئاً لم يجن وقته ، بل عزمه يطوع كل وقت لما يريد.
- ^{٦٦} - القافية مردوفة والروى في حضور ومرور.
- ^{٦٧} - ابيات إقبال هذه في الوقت وفي التفريق بين العبيد والاحرار من اروع ما عرفته الفلسفة والشعر.
- ^{٦٨} - في هذا البيت والابيات بعده يذكر إقبال ماضي المسلمين.
- ^{٦٩} - اعمال الكامله، الأسرار والرموز، ص ١٧٤ - ١٧٦.